وسلوك جميع السبل واستخدام كل الوسائل لتحقيق ذلك ... والجبهة ترفض التفاوض مع السلطة « الا بعد انسحاب القوات من المواقع التي احتلتها ، وعودة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الاشتباكات » . ونبهت بالتالي الى بداية مرحلة القضم والهضم ضد المقاومة من بعد ما درج على تسميته ببروتوكولات عمان ، او اتفاقية الغدر التي سيقت اليها منظمة التحرير . فالسلطة كانت تستفيد الى اقصى حد من حالة الارتباك في صفوف المقاومة منذ مجزرة ايلول ، ومن تراجعات قياداتها وتبريراتهم . ومن تلك التراجعات الاخطر ، قرار قيادات منظمة التحرير سحب سلاح المقاومة من عمان ، والتبرير غير المقنع الذي اعطته : ان هذا القرار قد اتخذ ليس لان السلطة الاردنية تريد ذلك ، « ولكن لاننا لا نريد هدر المزيد من الدماء » (!)

وكان رد الجبهة الشعبية عليه : ان هذا القرار لا يحقن الدماء ، بل يعطي السلطة تدريجيا ، اليد الطليقة في هدر الدماء بلا حساب وتحقيق هدف تآمرها بلا حدود ، ضد الجماهير الاردنية والفلسطينية . فمعركة ايلول معركة طويلة تقف المقاومة على ابوابها . وبالتالي ، كررت الجبهة دعوتها الى ضرورة وضع حد لسياسة التراجعات والتبريرات في الخندق الفلسطيني ، والى ضرورة مواصلة القتال حتى اسقاط الحكم المتآمر والتصدي لاحباط المؤامرة المستمرة : ينبغي العمل بالاجماع على الوقوف بعنف في الجبل وفي المدن ، ضد الروح التراجعية السائدة ، وصد التقدم الاحتيالي والقمعي للسلطة الاردنية ، بالقوة ، والتقدم فيما بعد لكسب مواقع جديدة عسكرية وسياسية . وذلك لا يمكن حدوثه الا عن طريق النبذ النهائي لفكرة امكانية التعايش باي شكل ، مع النظام المتآمر ، او استبدال الطبيعة الصدامية بين المقاومة وبينه .

ان نبذ السياسة التراجعية ونبذ التفاؤل بامكان التعايش ، كان من الخطوط الاساسية التي رأت الجبهة امكان استخدامها ، وعن طريق جعلها من عناوين العمل الراهن (آنذاك) ، للتوجه في المفترق الذي كانت تقف عنده المقاومة ، الى الصيغة الثورية الموازية لمهمات تلك المرحلة الدقيقة الخطورة : « عندما تنتشل حركة المقاومة نفسها من حالة البلبلة والذهول التي تعيشها ، وعندما تحسم موقفها السياسي وتحدد خطها العسكري ، تنتهي الازمة التي تعيشها ، وتبدأ الصورة تتجه باتجاه اخر . ان الحل بيد المقاومة . العمل على اساس ان الحقيقة هي : ان النظام المتآمر في الاردن سيبقى في حالة سعي متصل لابادة حركة المقاومة وبالتالي لا يبقى امام المقاومة للدفاع عن وجودها وحرية حركتها الا ان تناضل جنبا الى جنب مع جماهير الشعب الاردني والحركة الوطنية الاردنية لصالح حكم شعبي تقدمي غير رجعي ، وطني ، يحقق اماني الجماهير الاردنية بالحرية والتقدم ، ويوفر للثورة الفلسطينية الحماية والسند والدعم » .

محادثات شتورا : ابتزاز ومساومات وتراجعات

لقد ظل المناضلون الفلسطينيون يتصدون لادوات التآمر ، يقاتلون ويبذلون بشجاعة لدحر المؤامرة التي استمرت باشكال مختلفة عن مجزرة ايلول ، ١٩٧٠ ، واتبعت اسلوب التدرج او القضم والهضم ، ضدهم . ولكن امعان قيادات منظمة التحرير آنذاك في سياسة التراجع والتمسك بالاماني الزائفة التي تثيرها المصالحات العشائرية ، والقبول بمطالب السلطة الاردنية التي لا تنتهي وبتبريراتها المخادعة ، دفع بالثوار الفلسطينيين دفعا ، الى شرك الحصار المحكم . فالقيادات تلك قررت التراجع من المدن قائلة : ما هو مبرر وجودنا في المدن ؟ والتراجع من المخيمات قائلة : ما هو مبرر وجودنا في « البقعة » و « الوحدات » ؟ فكان ان تحقق للسلطة الاردنية هدف حشر المقاتلين في جرش وعجلون ، مواقع الكارثة التي ضربت المقاومة الفلسطينية في الاردن ، بعد نزيف حاد استمر قرابة سنة كاملة .

■■ خسارة معركة وكسب تجربة

بالطبع لم تكن تلك الهزيمة في الاردن لا بالنسبة للجبهة الشعبية ولا للثوريين عامة ، سوى خسارة معركة ، لا خسارة الحرب . وكانت الخسارة تجربة موجعة لكن غنية بالعبر والدروس : « ان الاحداث الاخيرة في الاردن بقدر ما كانت ضربة موجعة لحركة الثورة ، الا انها في المنظور التاريخي البعيد ، تبلور الظروف الموضوعية والذاتية لتصحيح مسيرة الثورة وتحقيق قفزة كبيرة في تطورها . لقد انصرمت مرحلة كاملة الان ، من عمر المقاومة ، ويدخل المناضلون الفلسطينيون مرحلة جديدة تختلف اختلافات كثيرة من حيث الشكل والعمق والمظاهر ، عن المرحلة التي انصرمت . وعلينا ان ندرك بان هذا الانتقال رغم شكله الموجع ليس تراجعا ، بل هو مؤهل لان يكون نقطة انطلاق جديدة تشكل قاعدة عمل ثوري متجدد . هذا الادراك يجب ان يتحول الى وعي ثوري ، مشدود الى فكر ثوري والى رؤيا عميقة وواضحة ، قادر على احداث التغيير وقادر على ارساء قواعده » .

ودعت الجبهة الى ضرورة اعتماد المقاومة الاسلحة التاريخية القادرة على صنع الانتصار : « التنظيم والجماهير والتصميم والمواقف السياسية الواضحة والنضال الطويل الدؤوب ، والتحالفات الثورية الحقيقية ، اضافة الى نبذ الوساطات الرجعية واحتقار الاستجداءات التي يعرف تاريخنا الطويل انها لا يمكن ان تحقق الانتصار . بذلك وحده تحول الالم والهزيمة في الاردن الى انتصار » .

□□□

لقد سقطت في « موقعة جرش » ، السياسة التراجعية ، واسلوب المصالحات العشائرية ، واوهام ان التنازلات للطرف المتآمر على الثورة ، يمكنها ان تستحصل ضمانات لامن الثورة وسلامتها، بالطبع كان الثمن موجعا في فداحته ، ولكن الجبهة الشعبية في دعوتها رفاق السلاح وفصائل الخندق الواحد ، الى اعتبار مرحلة ١٩٧٠ - ١٩٧١ الاردنية الدامية خسارة معركة فحسب ، والى اعتبار انها مرحلة غنية بالدروس الثمينة ، اكدت في الوقت نفسه ، بان ما واجهته المقاومة الفلسطينية ليس سوى معركة رئيسية من سلسلة معارك قادمة في حرب طويلة يشنها معسكر الاعداء ، لان تصفية المقاومة الفلسطينية مطلب اساسي لتسوية سلمية، تضمن منها الولايات المتحدة واسرائيل ، اجهاض القضية الفلسطينية ، واخراج الانظمة العربية من الصراع الوطني ضد الكيان الصهيوني ، واطلاق الوفاق بينها وبين سيطرة النفوذ الامبريالي على انحاء الوطن العربي .

فقد كان مشروع روجرز المحاولة الاولى الاميركية على طريق تحقيق تسوية سياسية استسلامية في المنطقة . وكانت مجازر ايلول ١٩٧٠ - تموز ١٩٧١ ضد المقاومة الفلسطينية في الاردن ، معركة رئيسية على طريق تحقيق الظروف « الملائمة » لانجاح الخطط الاميركية في هذا السبيل . ولهذا فمنذ ان انتقل ثقل الوجود الفلسطيني المقاوم الى ساحة لبنان ، حيث تتلاءم طبيعة ارض حدودنا الجنوبية مع الكيان الصهيوني ، مع النشاط الفدائي ضد العدو ، عملت الجبهة الشعبية على ضرب جذورها في القرى الحدودية وفي المخيمات الفلسطينية ، تشارك الكادحين من جماهير الشعب اللبناني نضالاتهم المشروعة ويشاركونها وكافة الفصائل ، الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، وتساهم في تحقيق التلاحم مع الحركة الوطنية اللبنانية .

وجاءت احداث ايار ١٩٧٣ ، او العدوان قصير النفس ، للسلطة اللبنانية ضد المقاومة ، لتؤكد سلامة دعوة الجبهة في ضرورة التأهب المستمر للدفاع عن الثورة المعرضة لايلول اسود لبناني بصورة متزايدة كلما تسارع ايقاع المساعي الاميركية لخلق الظروف العربية الملائمة من اجل تسوية استسلامية ، وكلما ارتفع المد الرجعي العربي .

□□□

ومثلما كان مشروع روجرز انذارا مسبقا لمعركة تصفوية رئيسية اخرى ، ضد الثورة الفلسطينية المتعاظمة ، كذلك كان توقيع نظام الردة في مصر على اتفاقية سيناء الاستسلامية . لقد جهرت الانظمة في بلدان « المواجهة » العربية ، بالتزامها بتسوية سياسية مطبوخة في واشنطن . والرئيس السادات نفسه اكد بان خوض حرب تشرين ، ١٩٧٣ ، لم تكن حربا تحريرية الهدف ، بل كانت طريقا لتحريك مساعي التسوية وكسر حالة اللاحرب واللاسلم التي سادت طويلا ، واقناع واشنطن بضرورة استئناف السعي بجدية اكبر ، لعقد الصفقة النهائية مع اسرائيل .

ان اتفاقيات فك الارتباط بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، كانت قرارات فك ارتباط الانظمة العربية المعنية مباشرة ، بالمعركة التحريرية ضد العدو الصهيوني . وكان جليا للمراقب السياسي العادي بان ثمة « ايلول اسود لبناني » اخر ، محتم الوقوع ، وان المسألة مسألة وقت .

■■ الوحدة ، التحالفات والمواجهة

والوقت كان ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، عندما قامت العصابات الانعزالية بمشاركة اجهزة السلطة بتنفيذ مجزرة الباص العائد من تل الزعتر ، في منطقة عين الرمانة ، لاستدراج الاشتباكات ، تنفيذا للمخطط التصفوي الموضوع ، لتحجيم العقبة الفلسطينية امام قطار التسوية ، ولقصقصة اجنحة الحركة الجماهيرية اللبنانية المتنامية ، وفرض نظام حكم رجعي بوليسي: « ان هذه المؤامرة ليست معزولة عن الوضع اللبناني الداخلي ولا عن الوضع العربي الراهن ، والمخططات الامبريالية التصفوية التي تشهدها المنطقة » . وحددت الجبهة الشعبية ضرورات المواجهة المتبلورة على الساحة اللبنانية بثلاث :

● ان وحدة المقاومة هي الحاجز الاساسي والاول في وجه جميع المؤامرات التي تتعرض لها . وان اول واهم المهمات التي يجب ان تتجه نحوها كافة النضالات والمساعي هي الوحدة حول خط سياسي ثوري واضح وحازم .

● ان التحالف مع الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية هو الحاجز الاساسي الثاني في وجه المؤامرات التي تتعرض لها الحركتان معا ، او كل منهما بمفردها ، وبالتالي لم يعد مقبولا ابقاء هذا التحالف ضمن نطاق التأييد السياسي المتبادل، بل يجب ان يجري الدفع به الى مستويات عملية وتنظيمية متقدمة وقادرة على مواجهة كافة التحديات بمختلف وسائل الكفاح .

● ان « تكتيك » بعض قيادات المقاومة تجاه مخطط التسوية وقواها لا يحمي حركة المقاومة كحركة ثورية ، من مخططات التصفية ، بل على العكس يغري تلك المخططات ويشجع تلك القوى على تنفيذها ، في حين ان المواجهة الصريحة مع تلك المخططات والقوى ، هي الطريق الوحيد لضمان وحدة حركة المقاومة ، وضمان الالتفاف الجماهيري الفلسطيني والعربي حولها ، وبالتالي الطريق الوحيد للارتفاع بقوة المقاومة ، وجعلها قادرة على رد مؤامرات التصفية من جهة ، وتصعيد النضال التحريري من جهة اخرى .

وحرصت الجبهة على التأكيد بان الايمان العميق لديها بوحدة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية كالسلاح الاقوى والافضل في مواجهة كل هذه المؤامرات والهجمات التي تتعرض لها جماهيرنا وتورتنا اللبنانية ـ الفلسطينية ، بان ايمانها هذا هو الذي يدفعها « لتجاوز العديد من القضايا الثانوية قياسا بالقضايا المصيرية الكبرى » ، لصالح المواجهة الموحدة والمتلاحمة ، ضد القوى الفاشية المتآمرة .

ومع تصاعد وتيرة القتال الذي تعمده الانعزاليون طائفيا بحيث كانت عمليات القتل الفردي او الجماعي ، على الهوية ، من ابرز سمات الحرب التي فرضوها على لبنان ، عممت قيادة الجبهة على عناصرها ، ودعت الى نبذ الممارسات الطائفية التي كان يستفز اليها البعض في مناطق سيطرتنا الوطنية : « ان الطائفية سلاح بيد الرجعيين الفاشست يجب العمل لانتزاعه من ايديهم . وحتى تبقى صورة المعركة صحيحة فلا بد من التعامل الايجابي مع الجماهير المسيحية الفقيرة وشرح الجوهر الحقيقي للمعركة الوطنية الطبقية . ولا بد من رعاية كل الظواهر الوطنية والتقدمية في الوسط المسيحي ، ودعمها وتشجيعها وابرازها ، لتكون الوجه المعبر عن ارادة المسيحيين الشرفاء الذين يرفضون مسايرة القوى الانعزالية الفاشية في مخططها التآمري على حركة الجماهير الشعبية الكادحة . وحتى نتمكن من ذلك فلا بد من الافلاع الكامل عن ممارسة الاخطاء الشائعة كالخطف والقتل والحرق والتدمير على الهوية ولانها لا تخدم الا العملاء والقوى التي تدعمهم » .

وانطلاقا من هذا الموقف المبدئي ، فقد كانت الجبهة من اولى المرحبين بقيام جبهة المسيحيين الوطنيين ، واعتبرت قيامها « استجابة تاريخية من قبل العناصر الوطنية المسيحية لدورها ومهمتها في محاربة الصبغة الطائفية للمعركة ، هذه الصبغة المشؤومة التي فرضها الاستعمار وحافظت عليها ادوات الامبريالية الرجعية في لبنان لتبقي الصراع الطبقي والوطني بعيدا عن مجراه الصحيح الذي يتوحد على اساسه كل الكادحين وكل الفقراء على اختلاف طوائفهم ، ضد كل الاقطاعيين والفاشيين والرأسماليين الرجعيين على اختلاف طوائفهم ايضا » . ودعت الجبهة الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، الى رعاية هذه الجبهة الناشئة ودعمها بكل ما تحتاجه من اسناد .

■■ القتال ووقف القتال

ومع كل قرار هش من عشرات قرارات وقف اطلاق النار التي كانت لا تكاد تعلن حتى تنهار ، كانت الجبهة الشعبية حريصة على التحذير من الوقوع في شرك الامال الكاذبة ، فهناك اهداف محددة يسعى الفريق الانعزالي المفجر للقتال ، الى تحقيقها ، مدعوما من الانظمة العربية الرجعية ومن العدو الاميركي والصهيوني ، وهو بالتالي ليس جادا في اي قرار لوقف القتال قبل تدفيق الهدف المزدوج اللبناني والفلسطيني ، الا في حال اصابته بهزيمة عسكرية حاسمة : « ان وقف القتال نهائيا وليس فقط وقف اطلاق النار ، هو غاية وهدف الحركة الوطنية والمقاومة ، واساسا وبالاصل، فان الحركة الوطنية والمقاومة ، لم تخض الا معركة الدفاع عن النفس المشروعة والضرورية ، بينما الفريق الرجعي هو الذي فجرها وصعد المعركة عسكريا ... ان المعركة في لبنان مستمرة لتحقيق اهداف الفريق الرجعي الانعزالي في تحجيم حركة المقاومة وضرب قواها الرافضة ، وقطع الطريق

تلاحم الوطنيين الفلسطينيين واللبنانيين الرائع في التصدي للمؤامرة المزدوجة